اضطرابات اجتماعية؛ اذ انه لا يتيح الفرصة لأعضاء كثير من الجماعات والاقليات الاثنية والدينية للتأقلم مع الوضع الجديد، بحيث يمكنهم اعادة تحديد ولائهم واعادة صياغة هويتهم، بما يتفق مع متطلبات الولاء للدولة القومية الحديثة. وقد ظهر هذا الوضع، أول ما ظهر، حينما سعت الدولة الالمانية الجديدة (ذات التوجه البروتستانتي) الى وضع النشاطات الاقتصادية والثقافية كافة تحت سيطرتها، وحاولت، بالتالي، السيطرة على النظام التعليمي بأكمله؛ ومن ثم تدخلت في عملية تعيين وفصل المدرسين في المدارس الكاثوليكية حتى يمتثلوا لأوامرها هي، ولا يخضعوا لسلطان الكنيسة. وقد ادى هذا الى الصدام بين الدولة والكتلة الكاثوليكية الضخمة. وقد أطلق على هذا الصدام اصطلاح «الكفاح الثقافي» (kultur kampt). وقد وقف اعضاء الاقلية اليهودية الى جانب الدولة ضد اعضاء الاقلية الكاثوليكية.

وقد أدى التحديث السريع الى زيادة درجة الاغتراب (anomie) بين اعضاء الطبقة المتوسطة (وغيرها من الطبقات) الذين تآكل اسلوب حياتهم، نتيجة لازدياد حجم المدن بسرعة مذهلة، وظهور منشآت قومية رأسمالية ضخمة لم يألفوها. وفي مثل هذه الظروف، يبحث أعضاء المجتمع، عادة، عن ايديولوجية متكاملة تجيب عن اسئلتهم، وتمنحهم الطمأنينة التي يفتقدونها في المجتمع الجديد وتحميهم من وحشية التغير السريع. وحيث ان الايديولوجيات الشمولية تقوم بهذه المهمة على أكمل وجه، فقد وجدت تربة خصبة في المانيا. ويقف هذا الوضع على الطرف النقيض من التحديث التدريجي البطيء في غرب اوروبا، الذي سمح بترسيخ قيم الفردية والليبرالية البورجوازية، ثم بهيمنتها، في نهاية الامر، على المجتمع ككل، بكل اعضائه ومؤسساته.

وقد تمّ التحديث في المانيا في ظروف خاصة؛ وهي ظروف التوحيد المتأخر. ونجح بسمارك في استغلال هذا الوضع ببراعة فائقة، حيث اكتشف ان العناصر الثورية في الطبقة المتوسطة والبورجوازية، قد تبنّت قضية توحيد المانيا، وربطت بينها وبين قضية أخرى، هي القضاء على القوى التقليدية والمحافظة في المجتمع، والتي كان من صالحها ان تحافظ على وضع التجزئة. الا ان بسمارك توصل الى صيغة ايديولوجية تسمح بفصل الهدف الاول عن الثاني؛ كما تسمح باستغلال قضية الوحدة لتصفية العناصر الليبرالية والثورية، كما يحدث في العالم الثالث حينما تطرح قضايا «قومية مصيرية» خارجية، للتحكم في الجبهة الداخلية، ولتصفية الصراع الطبقي. وانطلاقاً من هذا، تبنّت القوى والطبقات المحافظة، والارستقراطية، بقيادة بسمارك، قضية توحيد المانيا؛ وهي، على كلٍ، قد فعلت ذلك، بعد أن اصبحت مسألة توحيد المانيا مسألة شبه حتمية؛ ثم دافعت عن ضرورة قيام سلطة مركزية؛ وانجزت هذا الهدف التاريخي في نهاية الامر. ولذا، كان بوسعها ان تبرم هدنة بينها وبين البورجوازية، بحيث تحتفظ هي بالقيادة السياسية لالمانيا، على ان تستفيد البورجوازية من النتائج الاقتصادية لعملية التوحيد؛ أي ان عملية التحديث في المانيا قد تمت تحت مظلة القوى التقليدية المحافظة (كما كان الحال في دول شرق أوروبا، وان كان بصورة مختلفة). ولذا، ظهر مجتمع حديث، يدار باسلوب حديث من قبل طبقة تقليدية ذات مثل تسلّطية شمولية؛ وهذا مغاير، تماماً، لنمط التحديث في فرنسا أو انجلترا.

ومن الحقائق الاساسية التي كثيراً ما نغفل عنها، ان التحديث في العالم الغربي (خاصة في فرنسا واوروبا) مرتبط ، ارتباطاً كاملاً وعضوياً، بالمشروع الاستعماري الغربي. ولا يمكن رؤية عملية التحديث في فرنسا وانجلترا وهولندا وبلجيكا وغيرها من الدول خارج اطار التوسّع الاستعماري، وتحويل شعوب آسيا وافريقيا الى ما يشبه البروليتاريا (مصدر فائض القيمة) بالنسبة الى